﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦﴾ [الحجر: 16]

إنَّ في السّماءِ لدلائلَ ظاهرةً على وجودِ الله وتَوحيدِه

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا أجابَ اللّٰه تَعالى عن شُبْهَةِ مُنْكِري النُّبوَّةِ، وكان قد ثَبَتَ أنَّ القَوْلَ بِالنُّبوَّةِ مُفَرَّعٌ على القَوْلِ بالتَّوْحيدِ أَتْبَعَهُ تعالى بدَلائِلِ التَّوْحيد، ولَمّا كانَتْ دَلائِلُ التَّوْحيدِ مِنْها سَماويَّةٌ، ومِنْها أرْضيَّةٌ، بَدَأَ مِنْها بِذِكْرِ الدَّلائِلِ السَّماويَّةِ فجاءت هذه الآية.

أو: لَمّا ذكرَ اللّٰه تعالى أنَّهم لو رَأوا الآيةَ المذكورةَ في السّماءِ لَعانَدوا فيها، عَقَّبَ ذلك بهذه الآيةِ، فكأنَّه قال: وإنَّ في السماء لعِبَرًا منصوبةً غيرَ هذه المذكورةِ، وكفرُهم بها، وإعراضُهم عنها إصرارٌ منهم وعتوٌّ[1].

أو: لَمّا ذَكَرَ كُفْرَ الكافِرينَ وعَجْزَ أَصْنامِهِم ذَكَرَ كمالَ قُدْرَتِهِ لِيَسْتَدِلَّ بها على وَحدانيَّتِه[2].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بُرُوجًا﴾: الباءُ والرّاءُ والجيمُ أصلانِ: أحَدُهُما: البُروزُ والظُّهورُ، والآخَرُ: الوزَرُ والملْجَأُ، فالأوَّل: البَرَجُ: تباعدُ ما بَيْنَ الحاجِبَيْنِ، وكلُّ ظاهرٍ مُرْتَفِعٍ فَقَدْ بَرَجَ؛ وإنَّما قيلَ للبُروج بُروجٌ لِظُهورِها وبَيانِها وارْتِفاعِها، أمّا الثّاني: فالبُروجُ: القُصور، الواحِدُ: بُرْجٌ، وبهِ سمِّيت بُروجُ السَّماء أيضًا؛ لمنازلِها المختصَّةِ بها[3]. قال الفَرّاءُ: اخْتَلَفوا في البُروجِ، فقالوا: هيَ النُّجومُ، وقالوا: هيَ البُروجُ المَعْروفَةُ، وقالوا: هي القُصورُ في السَّماءِ[4]. وقال الزَّجّاجُ: البُروجُ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/354.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/9.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (برج).
(4) الفراء، معاني القرآن: 3/252.

الكَواكِبُ العِظامُ[1]. ومرجعُ الأقوال كلِّها إلى شيءٍ واحدٍ، وهو بُروزُ وظُهورُ شيءٍ ناصعٍ قويٍّ أو مرتفعٍ ضَخْم، فالكواكبُ ظاهرةٌ، والقصورُ ظاهرةٌ[2]. والمقصودُ بالبروج في الآية: منازِلُ الكواكبِ والنُّجوم.

2) ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾: أَصْلُ (زين) يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الشَّيْءِ وتَحْسينِه[3]، أو: زيادةٍ مُحبّبةٍ تَعْلَقُ بظاهر الشّيءِ ناشئةٍ عمّا يزخرُ به باطنُه، ومن ذلك الأصلِ جاء المعنَى الشّائعُ للتّزيّنِ وهو: التَّحلّي بحِليةٍ مُجتلَبةٍ تقليدًا لما هو ناشئٌ منَ البدنِ[4]، والزَّيْنُ: نقيضُ الشَّيْن. زانَه الحُسْنُ يَزينُه زَيْنًا، وازْدانَتِ الأرضُ بعُشبِها، وازَّيَّنَتْ وتَزَيَّنَتْ، والزّينةُ جامعٌ لكُلِّ ما يتزيّن به النّاسُ، وما يَحْسُنُ في أَنْظارِهِم مِنْ طَرائِفِ الدُّنْيا، كالحُلِيِّ والجَواهِرِ[5]. والمقصودُ بالزّينة في الآية: ما يَحْصُلُ بِهِ الزَّيْنُ. والمرادُ: جُعِلَتْ هذه البُروجُ بِأشكالٍ تَقَعُ مَوقِعَ الحُسْنِ في الأَنْظارِ.

3) ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾: النَّظَرُ: تَأَمُّلُ الشَّيءِ ومُعايَنَتُه، ثُمَّ يُسْتَعارُ ويُتَّسَعُ فيه، فَيُقال: نَظَرْتُ إلى الشَّيءِ أنظرُ إليه، إذا عايَنْتَهُ[6] أو: مواجهةٌ بالعين بتَرقّبٍ وتهيّؤٍ للرّؤية، ويأتي النَّظَرُ بمعنى الفِكْرِ والتَّأمُّلِ، يُقالُ: نَظَرْتُ في كلامِه، أي: فكَّرْتُ وتأمَّلْتُ[7]، والنّاظرُ: العَيْنُ نَفْسُها، أو: النُّقطةُ السَّوداءُ الصّافيةُ الَّتي في وسَط سَوادِ العين وبها يَرى النّاظرُ ما يُرى[8]. والمقصودُ بالنَّظرِ في الآية: المُشاهَدةُ بالعَيْنِ، والاعتبارُ بالمُشاهَدِ. والمرادُ بالنّاظرين: الَّذين يتمَتَّعونَ بِمُشاهَدَتِها، ويعتبِرون ويتّعَظون بذلك[9].

المَعْنى الإجْماليُّ:

يبيِّنُ اللّه تعالى في هذه الآية كمالَ اقتدارِه ورحْمتِه بخلْقِه، بأن قد خَلَقَ في السَّماءِ الدُّنيا نُجومًا بمثابةِ مَنازِلَ للشَّمسِ والقَمَرِ في مَسيرِهما، وزيَّنَ السَّماءَ الدُّنيا بالنُّجومِ

(1) الزجاج، معاني القرآن: 4/73.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (برج)، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 8/27.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زين).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (زين).
(5) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (زين)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/269.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نظر).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (نظر).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/29.

لِمَن يُبصِرُها، ولِمَن ينظُرُ إليها فيتأمَّلُها ويعتبِرُ، ويستدِلُّ بها على قُدرةِ خالِقِها ووَحدانيَّتِه ﷻ، والَّتي يَحارُ الفِكْرُ في دقائق صَنْعتِها، وقُدرةِ مُبدعِها. ففي الآية إشارةٌ إلى ما للعُقول السَّليمةِ مِن قُدرةٍ على النَّظرِ في ملكوتِ اللّه، وارتيادِ مواقعِ العِبرة والعِظةِ مِن آياته المبثوثةِ في هذا الملكوتِ(1).

التَّنبيهُ إلى خلْقِ السَّماواتِ وما فيها من عَجيبِ التَّكوينِ

۞ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ إقامةِ الحُجّةِ في هذه الآيةِ:

لمّا أخبرَ اللّه تعالى أنَّه لو فتحَ عليهم بابًا منَ السّماء ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾ [الحجر: 15]، أعْجَزَهم بهذه الآيةِ، لِيُؤْذِنَ أنَّهم كاذِبون معانِدون، فآياتُ السّماءِ دائمةٌ وهم مُبصِرون لها كلَّ يوم، فدلَّ على أنَّهم لم يُؤمِنوا لعنادِهم ومُكابرتِهم وليس لعدَمِ وجودِ الآياتِ.

الكُفرُ بالله عِنادٌ ومُكابرةٌ

فائدةُ الوصْلِ بالواوِ في ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا﴾:

ناسبَ العطفُ بالواو في هذه الآيةِ لِمُناسبتِها ما قبْلَها في أنَّ الكلامَ على ما تضمّنَتْه السّماءُ منَ الآيات العظام على توحيدِ اللّه، والمعنَى بدلًا من أنْ يَطلُبوا الآياتِ منَ السّماءِ نُذَكِّرُهم بأنَّ الآياتِ قريبةٌ منهم وأمامَ أنظارِهم، وذلك في السّماءِ التي فوقَهم وما فيها من بُروجٍ، وكذلك النّجوم التي زَيَّنَ اللّه بها السّماءَ.

مـا بـين أيْـدي النّاسِ من آياتٍ كـافٍ في الدّلالةِ على توحيدِ الله

بَلاغةُ ذكْرِ الخبرِ وإرادةِ فائدتِه ولازِمِه:

أفادَ الخبرُ إثباتَ أنَّ اللّه تعالى هو الذي جعلَ في السّماء بُروجًا، وليس غيرَه، وهو الذي زيّنَها للنّاظرين، ففيه إثباتٌ لفائدةِ الخبرِ، ولمّا كان الخبرُ الذي تضمّنَتْه الآيةُ معلومًا عندَ أغلبِ المُخاطَبين دلَّ على أنَّ المرادَ لِهؤلاء لازمُه أي لازمُ الفائدةِ، فيكونُ لِتذكيرِ المُخاطَبين

الآياتُ السّماويّةُ الظّاهرةُ مُغنِيَةٌ عن طلَبِ خوارقِ العاداتِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/30، والشوكاني، فتح القدير: 3/151، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 7/224، والشنقيطي، أضواء البيان: 2/256.

بأنَّ هناك ما هو أعظمُ منَ الإتيان بالملائكةِ وفتح بابٍ منَ السماء، وهو أنّنا جعلْنا في السّماءِ بروجًا وزيّنّاها للنّاظرين، وهي آياتٌ دائمةٌ أمامَ أنظاركُم، والذي منعَكم منَ الانتفاعِ بها هو عنادُكم، ففي الآية استدلالٌ على مكابَرتهم، فإنَّهُم لَوْ أرادوا الحَقَّ لَكانَ لهم في دَلالَةِ ما هو أمامَ أبصارِهم غُنْيَةٌ عن تَطلُّبِ خَوارقِ العاداتِ[1].

دَلالةُ التَّأكيدِ في قولِه ﴿وَلَقَدۡ﴾:

ظُهورُ الآياتِ السّماويَّةِ الدّائمةِ أذهلَ النّاسَ عنِ التّفكُّرِ بها

لَمّا لم يَنتفعِ المُخاطَبون بما هو أمامَ أبصارِهم منَ الآياتِ العظيمةِ الظّاهرةِ الدّائمةِ على توحيدِ اللّٰه وبديعِ صُنعِه أُنزِلوا منزلةَ المُتردِّدين لذُهولِهم عنها، فافْتُتِحَ الخبرُ بمؤكِّدَين هما لامُ القسَم التي تفيدُ المبالغةَ في تأكيد الخبرِ، و(قَدْ) التي تفيدُ تحقيقَ مضمونِ الخبرِ وتقريرَه، ومَرجِعُ التَّأْكيدِ إلى تَحقيقِ الاستدلالِ وإلى الإلجاءِ إلى الإقرارِ بِذلك، ولمّا كانت جملةُ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ معطوفةً على جملة ﴿جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ أفاد دُخولُ التأكيدِ على الجملةِ المعطوفةِ كذلك، إيذانًا بذُهولِهم عنِ الأمرَين معًا، وتقديرُ الكلام: وعِزّتي وجَلالي قد جعلْنا في السّماء بروجًا وقد زيّنّاها للنّاظِرين[2].

نُكتةُ التّعبيرِ بـ﴿جَعَلۡنَا﴾:

إفادةُ لفظِ (جعل) معنَى الإيجادِ والإبداعِ

لَمّا كانتِ البروجُ قد وُجِدت بعدَ تقدّمِ خلقِ السّماوات، وكان إيجادُها على وجهٍ يظهرُ فيه إبداعُ الخالقِ وعظمُ خلْقِه عبّرَ بلفظِ ﴿جَعَلۡنَا﴾ الذي يدلُّ على الإيجادِ والإبداعِ؛ لِيناسبَ سياقَ الآياتِ في بيان توحيدِ اللّٰه وبديعِ خلْقِه.

فائدةُ التّعبيرِ بنونِ العظمةِ: ﴿جَعَلۡنَا﴾ و﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾:

حُسْنُ النَّظرِ في خَلْقِ الله طريقٌ إلى تعظيمِه سُبحانَه

أفادَ التّعبيرُ بنونِ العظَمةِ في الفعلَيْن وفي ما بعدَهما منَ الأفعالِ في هذا السِّياقِ تعظيمَ شأنِ فعْلِ اللّٰه ربِّ العالمين؛ لإبرازِ مزيدِ عنايةٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/27.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/27.

بفعْلِ الجعْلِ والتّزْيين هنا، فهو من فعلِ الملكِ الواحدِ الأحدِ، فيُفيدُ تعظيمَ الفاعلِ ﷻ، لحثِّ المُخاطَبين على النّظرِ فيها، والمعنَى: لا أحدَ يفعلُ مثلَ هذا الفعلِ غيرُ اللّه تعالى، تقريرًا لدلائلِ توحيدِ اللّه وعظَمته.

فائدةُ (ال) في قولِه: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾:

قُــرْبُ الآيــاتِ الدّالّةِ على الله منَ النّاسِ

(ال) هنا للعهْدِ الذِّهنيِّ؛ للإيذانِ بأنَّ الكلامَ في السّماءِ المعهودةِ عندكم أيُّها المخاطَبون، فالآياتُ الدّالّةُ على إلهيَّة اللّه وتوحيدِه قريبةٌ منكم أمامَ أنظارِكم.

سِرُّ تقديمِ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ على ﴿بُرُوجًا﴾:

لـمْ يـوجِدِ اللهُ الــبُروجَ إلّا في السّماءِ؛ لِتظهرَ الآيــاتُ أمـامَ أنـظـارِ الـنّـاسِ دائمًا

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ تخصيصَ جعْلِ البروجِ في السَّماء، وليس في موضعٍ آخرَ، بمعنى لم يوجِدِ اللّهُ البروجَ إلّا في السّماءِ، كما أفادَ التّقديمُ تأكيدَ الجعْلِ المذكورِ وتقريرَه، للإيذانِ بقُربِ الآياتِ وأنّها أمامَ الأنظارِ.

فائدةُ حرفِ الجرّ في: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾:

سَعةُ السّماءِ وعِظمُ خلْقِها إذ حَوتِ البُروجَ فيها

أفادَ حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ أنَّ السّماءَ ظَرفٌ للبروجِ، للإيذانِ بعِظمِ خلْقِ السّماءِ وسَعتِها.

دَلالةُ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿بُرُوجًا﴾:

تعظيمُ شأنِ السّماءِ لكونها من أعظمِ آياتِ الله تعالى

البروجُ هي المنازلُ، واحدُها بُرجٌ، وسُمّيَ بذلك لظُهورِه وارتفاعِه ووضوحِه، ولمّا كانت البروجُ في السَّماءِ دلَّ على عِظَمِ السَّماءِ وعُلوِّ شأنِها[1].

فائدةُ التَّنكيرِ في قولِه ﴿بُرُوجًا﴾:

الــحــثُّ على التّفكُّرِ في خلْقِ الـلـهِ وتقليبِ النّظرِ في السّماءِ

أفادَ التّنكيرُ تفخيمَ شأنِ البروجِ، بقرينةِ السّياقِ واقترانِ فعْلِ الجعْلِ بها، والمعنَى: ولقد جعلْنا في السّماء بروجًا عظيمةً

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/354.

كبيرةً ظاهرةً، للحثِّ على تقليبِ النّظرِ في السّماء والتّفكُّر في خلْقِه سُبحانَه.

دَلالةُ الضّميرِ في قوله: ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾:

الإيجازُ بدَلالةِ ضميرٍ واحدٍ على جُملةٍ منَ المَعاني

الظّاهرُ أنَّ الضّميرَ (ها) يعودُ إلى السّماءِ؛ لأنّها المُحدَّثُ عنها، ولكونِ الضّميرِ في قولِه: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ عائدًا إلى السّماءِ كذلك، فيكونُ مرجعُ الضّميرِ في السّياق واحدًا، ولمّا كان الضّميرُ العائدُ إلى الاسْمِ يحملُ ما اتّصفَ به الاسْمُ منَ الأوصافِ دلَّ على أنَّ المعنَى: زيَّنا السّماءَ التي جعلْنا فيها بروجًا للنّاظِرين، فيكونُ جعْلُ البروجِ في السّماء آيةً وتزْيينُها آيةً أخرى، ويَحتملُ أنْ يعودَ على البُروجِ؛ لِأنَّها الأقْرَبُ في اللَّفْظِ فيكونُ التّزيينُ للبروجِ، والوجهُ الأوّلُ أوْلى وأظهرُ[1]، ولا مانعَ من إرادةِ المعنَيَيْن معًا على طريق الاشتراكِ اللّفظيِّ، بل إرادةُ المعنَيَيْنِ معًا أدْخَلُ وأمكَنُ في الاستدلالِ والامْتنانِ في وقتٍ واحدٍ، وأثرَى في المعنَى، فيكونُ جعْلُ البروجِ في السّماء آيةً، وتزْيينُ البروجِ آيةً ثانيةً، وتزْيينُ السّماءِ آيةً ثالثةً.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾:

الجمْعُ بَيْنَ الاسْتِدْلالِ على توحيدِ اللهِ والامتِنانِ له سبحانه

في مجيءِ لفْظِ ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ في سياقِ الاستدلالِ على توحيدِ اللّه بعظيمِ فعْلِه وإيجادِه جمعٌ بين الاسْتِدْلالِ والامتِنانِ وإدماجٌ لهما بِنِعْمَةِ التَّمكينِ مِنْ مُشاهَدةِ المَرائي الحَسَنَةِ، ففيه حثٌّ على الإيمانِ باللّه تعالى وتوحيدِه ومقابلةِ النِّعمِ بالشُّكرِ، ثُمَّ يَتَفاوتُ النّاسُ في إدْراكِ بديعِ صُنعِ اللّه وعظيمِ نِعَمِه على مِقْدارِ تَفاوُتِ عُلومِهم وعُقولِهِم.

دَلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ التَّفْعيلِ في ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾:

إظهارُ شِدَّةِ حُسنِ السَّماءِ بتَزْيينِها، وشمولِ زينتِها كلَّ ما يُطلَقُ عليه زينةٌ

لَمّا كان التّزْيينُ يرادُ به جعْلُ الشّيءِ زَيْنًا، وصيغةُ (زَيَّنَ) تفيدُ شدّةَ التَّحسينِ للشّيءِ، أي إظهارُ شدَّةِ حُسنِه دلَّ على أنَّه تعالى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/77، والماتريدي، تأويلات أهل السنّة: 6/427، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/208، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/471، والبقاعي، نظم الدرر: 11/32.

أظهرَ شدَّةَ حُسنِ السّماء بتَزْيينِها، ولمّا كانتِ الزّينةُ مُبهمةً صادقةً على كلِّ ما يُزانُ به شملتْ كلَّ ما يُطلقُ عليه زينةٌ في السّماءِ من صوَرٍ بديعةٍ وأشكالٍ رائعةٍ وأضواءٍ عجيبةٍ، ويدخل فيه ترتيبُها على نظامٍ بديعٍ مُستتبعٍ للآثارِ الحسنةِ[1].

فائدةُ تزْيين السّماءِ:

الحثُّ على النّظَرِ إليها والتّفكّر فيها، والثناء على المُزيّن ﷻ

لَمّا كان ما يَقبحُ في العين منَ المنظرِ لا يَتفكّرُ النّاظرُ فيه ولا ينظرُ إليه؛ فزيَّنَها لهم؛ لِيحملَهم ذلك على التّفكّرِ فيها، والنّظرِ إليها؛ ليعلَموا أنَّه تدبيرٌ واحدٌ؛ حيث جعلَ منافعَ السّماءِ مُتّصلةً بمنافعِ الأرض؛ مع بُعْدِ ما بينَهما، واقتضَى التّركيبُ الثّناءَ على المُزَيِّنِ سُبحانه، وعلى تَزْيينِه ومدْحَه؛ لأنّه أخبرَ أنَّه زيَّنَها للنّاظرين على جهةِ التّعظيم والتّفخيم ولا يحتملُ أن يُزيِّنها للنّاظرين، ثمَّ يَنهَى عنِ النَّظرِ إليها، فلمّا كان الأمرُ كذلك أفادَ الحثَّ على النَّظرِ فيها وإليها[2]، للاستدلالِ بذلك على وَحدانيَّته سُبحانه والثَّناءِ عليه تعالى.

سببُ إيثارِ حذْفِ مُتعلّقِ الفعْلِ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾:

زينةُ السّماءِ مُتنوّعةٌ مُتكثّرةٌ لا يَملُّها النّاظِرون لبديع صنعتها

أفادَ حذفُ مُتعلّقِ الفعلِ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ العُمومَ، فلم يَذكرْ أنواعَ الزّينةِ منَ الأشكالِ والهيئاتِ البهيَّةِ التي فيها؛ للإيذانِ بتنوُّعها وتكثّرِها وعُمومِها، فزينةُ السّماءِ لا يملُّها النّاظرون، فهي دالَّةٌ بتنوُّعِها وتكثُّرِها على قُدرةِ مُبدعِها وتوحيدِ صانعِها.

دَلالةُ (ال) في قوله ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾:

شُمولُ وعُمومُ كُلِّ النّاظِرين دون تمايزٍ بينهم

في قوله ﷻ: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾، أفادت (ال) الاستغراقَ لتشملَ كُلَّ مَنْ يتَّصفُ بصِفةِ النّظرِ منَ المؤمنين والكفّارِ، ولا تقتصرُ على صنفٍ دون آخرَ، فتشملُ الرّؤيةُ والنّظرُ كلَّ البشرِ مؤمنِهم وكافرِهم.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/208، والهرري، حدائق الروح والريحان: 15/27.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/427.

دَلالةُ قولِه تعالى: ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾:

مَن لم يَنتفِعْ بالنَّظرِ إلى السَّماءِ فكأنَّ نظَرَه عَدَمٌ

لمّا كان ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ مُشتقًّا منَ النّظر احتملَ أنْ يُرادَ به المُبْصِرون؛ لأنّ السّماءَ منَ المَحسوسات الّتي لا تُدْرَكُ إلّا بِنَظَرِ العَيْن، ولِمناسبةِ لفْظِ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ لإدراكِ التّزْيين بالبصر، لأنَّ الأشْياءَ الزَّيِّنَةَ هيَ حَسَنَةٌ في أعْيُنِ جميعِ النّاسِ ومحبَّبةٌ لهم، فَلا يَخْتَصُّ المؤمنون أو غيرُهم بِجَعْلِها لَهُم زَيِّنَةً، أو أنْ يُرادَ به المُعتبِرون المُتفكّرون المُستدلّون بها على قُدرةِ مُبدعِها وتَوحيدِ صانِعِها[1]، فيكونُ المرادُ منَ النّظرِ نَظَرَ القَلبِ لِما فيها مِنَ الزّينَةِ المَعْنَويَّةِ، أي بترتيبِها على نظامٍ بديعٍ مُستتبعًا للآثارِ الحسَنةِ، فيكونُ المرادُ مَنِ انتفعَ بالتّزْيين على سبيلِ التّخصيصِ، وأمّا مَن لم ينتفعْ فكأنَّ نظرَه لا نَظرَ، ويُمكنُ الحمْلُ على المعنَيَيْنِ معًا على طريق الاشتراكِ اللفظيِّ، فيكونُ أثرَى في معنى الخطاب.

دَلالةُ الاسْمِ المُشتقِّ ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾:

الحثُّ على النّظَرِ إلى السَّماءِ ومدحُ النّاظِرين المُعتَبِرين

المُشتقّاتُ مَعانيها كلّيةٌ، فالتّعبيرُ بالاسْم المُشتقِّ يُفيدُ أنَّ مَن ينتفعُ من تَزْيين اللّه تعالى للسّماء كلُّ مَنِ اتّصفَ بالنّظرِ، ففيه حثٌّ على النّظرِ إلى السّماء؛ لأنّه أخبرَ أنَّه زيَّنَها للنّاظِرين، ولا يُتَصَوَّرُ أنْ يُزَيِّنَها للنّاظرين، ثمَّ ينهَى عنِ النَّظرِ إليها، فدلَّ على أنَّ السّياقَ يُفيدُ حثَّ كلِّ النّاسِ على النّظرِ إليها ومدْحَ النّاظِرين المُعتَبرين[2].

فائدةُ حذْفِ مُتعلَّقِ قولِه ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾:

النّظرُ إلى السّماءِ طريقٌ للنّظَرِ فيها والتّفكُّرِ في بديعِ خلَقِ الله

لمّا كان الاسْمُ المشتقُّ ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ يحتملُ أنْ يتعدّى بـ(إلى) وبـ(في)، وحُذِفَ هذا المتعلَّقُ دَلَّ حَذْفُه على عموم التّعلّق[3]، ليفيدَ الحثَّ على النّظرِ في السّماء وإلى السماءِ، فإنْ كانَ التّقديرُ (إلى

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/526، والرّازي، مفاتيح الغيب: 19/12، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/208، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/471، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/269، والهرري، حدائق الروح والريحان: 15/27.

(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/427.

(3) القنوجي، فتح البيان: 7/154.

السّماء) كانَ المرادُ منَ النّاظِرين النّظرَ بالبصرِ، وإذا كانَ التَّقديرُ (في السّماء)، كانَ المرادُ النَّظرَ بالقلبِ والعقلِ، وتقدَّمَ أنَّ الحمْلَ على المعنَيَيْن أثرَى لمعنَى الخطابِ، فالنّظرُ إلى السّماء طريقٌ للنّظرِ فيها وفي زينَتِها وبديعِ ما خلقَ اللّه فيها.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجَعْلُ والخَلْقُ:

الجعْلُ يُفيدُ معنَى الإبداعِ والخَلْقُ يُفيدُ معنَى الإيجادِ

الجعْلُ هو الإنشاءُ والإبداعُ، والخلقُ هو الإنشاءُ والإيجادُ؛ لأنّ (خَلَقَ) فيه معنى التّقديرِ والتّسويةِ، كما أنَّ الجعْلَ يتوقَّفُ على موجودٍ مُغايرٍ للمجعولِ، بحيث يوجدُ المجعولُ بسببِ المخلوقِ الأوّلِ، أو يكونُ المجعولُ مَحسوسًا عنِ المخلوقِ الأوّلِ، بخلافِ (خَلَقَ) فإنَّ العبارةَ تقعُ كثيرًا به عمّا لم يتقدّمْ وجودَه وجودٌ مُغايرٌ يكونُ عنه الثّاني، فلكلِّ لفْظٍ سياقُه ودَلالتُه وإنِ اشتركا في معنَى الإنشاءِ[1].

(1) الغرناطي، ملاك التأويل: 1/97، والآلوسيّ، روح المعاني: 4/78.